

بديع الزمان وتصنيعه:

هو، أبو الفضل أحمد بن الحسين، ويعرف باسم بديع الزمان، أصل من همذان وإليها ينسب، اخوه محمد بن الحسين مفتي البلدة تتلمذ على يد العلماء والادباء منهم ابن فارس الاديب الكبير واللغوي المشهور، وابن الفراء، وعيسى بن هشام، الا انه ترك همذان عام ٣٨٠هـ، وعمره نحو اثنتين وعشرين سنة، ويظهر أنه لم يكن معجباً بها، فقد جاء في إحدى رسائله لأستاذه أحمد بن فارس اللغوي المعروف، الذي "أخذ عنه جميع ما عنده، واستنفذ علمه"، قوله:

لا تلمني على ركاكة عقلي ... إن تيقنت أنني همذاني

وقد روى له ابن خلكان -مع شيء من الشك- بيتين يذم فيهما همذان، وأهلها ذمًا قبيحًا على هذا النحو:

همذان لي بلد أقول بفضله ... لكنه من أقبح البلدان

صبيانها في القبح مثل شيوخه ... وشيوخه في العقل كالصبيان

وقد يكون في هذا الشعر -إذا صحت نسبته إليه- ما يعلل لمفارقتة بلده في مقبل حياته، وقد تركها إلى حضرة الصاحب بن عباد زعيم أدباء عصره حينئذ، فتزود من ثماره وحسن آثاره، ونراه يترك الصاحب إلى جرجان إذ "أقام بها مدة على مداخلة الإسماعيلية، والتعيش في أكنافهم، والافتباس من أنوارهم، ثم قصد نيسابور فوافاها في سنة ٣٨٢هـ، ونشر بها بزه، وأظهر طرزه، وأملى أربعمائة مقامة! نحلها أبا الفتح الإسكندري في الكدية وغيرها".

على أنه لا يستمر طويلاً في نيسابور، إذ نراه يرحل عنه متجولاً في خراسان، وسجستان وغزنة وما حواليه،

واشتهر بديع الزمان بحافظة قوية قوة شديدة، وكما اشتهر بديع الزمان بحافظته اشتهر بسعة ارتجاله، وكان يعرف الفارسية، ويترجم بعض أشعارها إلى العربية، ويقال: إن الصاحب بن عباد

اختبر مهارته في هذا الجانب، ويقول صاحب اليتيمة: انه "كان يترجم ما يقترح عليه من الأبيات الفارسية المشتمة على المعاني الغربية بالأبواب العربية، فيجمع فيها بين الإبداع، والإسراع".

وليس هناك كاتب في القرن الرابع نال من التمجيد، والثناء ما ناله بديع الزمان، وحتى اسمه لا يعرفه الناس، وإنما يعرفونه بلقبه الذي أطلقه عليه معاصروه، وإنه ليفصح عن مدى إعجابهم به.

مميزات أسلوبه:

١- كان يعنى في رسائله بتطبيق أساليب التصنيع عناية واسعة، وقد افطر في ذلك افراطاً شديداً اتاح لضرب من التصنيع ان تتسرب الى كتاباته ، ولعل في مقدمة هذه الضروب ما نحسه عنده من مبالغات وتهويلات. فقد تجاوز الطرق الطبيعية في الزخرفة بزينة الجناس اذ اعنت نفسه هذا العنت في طلبه فكل عبارة تخرج محملة به ذلك باستخدام فنون من التصنيع والتكلف .

٢- انماز بجنوحه الى الغريب وكأن الغريب غاية يسعى اليها الكاتب ليحقق ضرباً من الجمال في صناعته .

٣- وثمة ظاهرة اخرى هي كثرة المثال في نثره والاقْتباس من القرآن الكريم وكان يكثر من تضمين الشعر .

مؤلفاته:

١- ديوان شعر وهو مطبوع والقارئ فيه يجده لا يتخلى عن الجناس والسجع والازدواج والمعميات والاحاجي

٢- رسائله وهي مطبوعة تناول فيها موضوعات كثيرة من مدح وهجاء وعتاب واعتذار وعزاء وشكوى وتهنئة ووصف واستعطاف

٣- مقاماته وهي مطبوعة وعددها اثنتان وخمسون مقامة.

ومقاماته ارجب من رسائله معنى والطف مبنى واخف صنعة واكثر فكاهاة قال زكي مبارك (ان مقامات بديع الزمان تحفة من تحف النثر الفني في القرن الرابع..)